

الشباب

بين أمل العفة وألم الغفلة

تأليف

د. عبدالكريم الديوان

بين يدي الرسالة

الحمد لله؛ و الصلاة و السلام علي رسول الله و علي آله وصحبه ومن
والاه .. أما بعد

أخي : **لا شك أنك تحزن** إذا سمعت بشاب يسقط أسيراً ً لإدمان المخدرات ،
وتتألم إذا نما إلى علمك التغيريرُ بفتاة عفيفة حتي خرجت عن حشمتها
وتمردت على سترها وحياءها وهي ابنة الشرفاء ، **ويعتصرك الأسى** لو قُدر
لك فقتم بزيارة لدار الرعاية أو دار الأحداث فرأيت فلذات أكباد المسلمين قد
نزلوا تلك الدار بألوان شتي من الشذوذ الاجتماعي و الخلقي و الترددي في
مهاوي الانحراف ..

قل مثل ذلك إذا سمعت بصبي لم يبلغ الحلم قد أدمن التدخين .
وفتاة وقعت أسيرة ذئب بشري ..

وشباب كلما تيسر ونزلت بهم **الإجازات** طاروا إلي إحدى البلاد الإباحية
فدنسوا فيها الأعراض وذبخوا العفة في خاناتها وأراقوا ماء الحياة علي قارعة
طرقاتها فرجعوا بلا حياء يردعهم عن ذكر مغامراتهم الماجنة في تلك الديار
الأسنة.

ولا شك أنه كلما قُربَ الحدثُ منك في المكان أو الزمان أو الأشخاص ، كلما
كأن تألمك وخوفك أكبر وحذرك أشد.

فالذي يسمع بالحادثة تقع بالقرب من داره والأشخاص هم في عداد صحبة ابنه
أو ابنته ، وقد سمعها اليوم أو بالأمس القريب ... كان الوجس من قلبه أعظم

و الحذر لديه أشد ، وكلما ابتعدت الأسباب ضعف التأثير والمؤثر ، والنتيجة المؤلمة المزيد من وقوع تلك الحوادث المؤسفة.

ويكون ألمنا اشد وحزننا اكبر لمن لا يبالي بما يسمع والنار تأكل أطرافه لما يتعاطاه من أسباب ذلك الهلاك ودفعه عن نفسه ومن يعول ولو كانت (تلك الأسباب) في قعر داره و بين أهله وأبناءه.
فما السبيل إلى العفة ؟ وفي حياة الشباب على الخصوص !
كيف يكون الحذر من ذلك والخلاص منه ؟ وان شئت فقل الخروج من ذلك النفق المظلم ؟

هذا ما سنحاول الإجابة عليه من خلال هذه الأسطر عبر هذه الرسالة الصغيرة بمشيئة الله تعالى .

سائلاً المولي عز وجل أن يوفق لخير العرض ولأحسن البيان
ولخير الفهم والاستفادة وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم.

مباحث الكتاب

- ١- العفة والاستعفاف ... تعريفها
- ٢- لماذا الشباب ؟
- ٣- مظاهر الانحراف
- ٤- آثار الانحراف.
- ٥- أسباب الانحراف.
- ٦- السبيل إلى العفة ، وتجنب الغفلة.

العفة : مصدر عَفَّ

وَعَفَّ : عَفَّاً وعَفَّاً: كف عما لا يحل و لا يجمل من قول أو فعل

فهو عَفَّ وعَفِيف

وتعفف: عَفَّ

واستعفف: عَفَّ

والعفة : ترك الشهوات من كل شيء و غلب في حفظ الفرج مما لا يحل (١)

ويأتي في مقابل العفة . . الدناءة و الخسة في كثير من صورها ،

و العفة من مكارم الأخلاق ، و الدناءة و الخسة و كل ما ينافي العفة من رذائل الأخلاق . . .

وعند تحليل دوافع العفة نجدها ترجع إلى أكثر من أساس خلقي ، وذلك باعتبار المثيرات :

فإذا نظرنا إلى دوافع النفس ، ثم نظرنا إلى القوة الضابطة التي تضبط النفس

عن تلبية دوافعها فيما لا يحل أو لا يجمل بالإنسان فعله ، تكشف لنا مجموعة من العوامل تتدخل في هذا المجال وتتحكم به وتؤثر فيه ، منها:

الصبر . . .

ومنها الخوف . . .

ومنها الطمع . . .

ومنها حب الحق ، الذي يجعل صاحبه يكف عما لا حق له به . .

وغير ذلك وسواه .

فبمقدار ما لدى الإنسان من قدرة على الصبر اتجاه الدافع المُثار نحو ، تكون العفة عندئذٍ من مظاهر خُلق الصبر ،
 وحين يكون الانضباط و الكف بتأثير الخوف من العقابة تكون العفة من مظاهر ذلك ،
 وحيث يكون الانضباط و الكف بتأثير الطمع بالثواب أو حبّ الحق أو غير ذلك من العوامل تكون العفة من مظاهرها .

و العفة لا تكون إلا إذا وُجد الدافع النفسي إلى ما ينافيها ، فإذا لم يكن في النفس دافع إلى ما ينافي العفة ، أو لم يوجد ما يثير الدافع لم يكن للعفة وجود أصلاً .

فأي معنى لعفة من لا إرب له (أي من لا شهوة له) ،

أو لعفة معتزل في صومعة لا يتعرض لأي مثير ؟! أو ما يحرك كوامن غرائزه . . .
 فدل هذا علي أن العفة في حق من يعاني المزيد من جراء شهوته . . فأن منزلته في العفة تكون أعظم وأرفع وأكرم عند الله ، فليبشر .

قمة العفاف :

ولذلك لما كانت عفة نبي الله يوسف عليه السلام عفة مستوفية لكل شروطها وأركانها كانت من أعظم أمثلة العفة في تاريخ البشرية . ففي يوسف عنفوان الفتوة ، وفيه غريزة الشباب ، ويعيش الغربة ، واستضعاف العبودية الداخلة عليه ، وفي امرأة العزيز الإثارة بكل قواها ، وكذا الجمال والمنصب ، والإغراء الكامل ، مع الدعوة الملتهبة ، و الخلوة التامة ، والتهديد لعدم الإستجابة^(١)

ومع ذلك كله عفّ عليه السلام واستعلى ، و أنتصر علي كل تلك الدواعي بعون الله وتبنيته وحفظه .

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها بتصريف - عبد الرحمن حبنكة الميداني ح ٢٠٨٢

وقد عرض القرآن الكريم قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز أروع عرض ، و ابرز فيه ساحة الإثارة بكل ملابساتها ، وقوه الضبط الإيماني والخلقي عند نبي الله يوسف عليه السلام والذي جعله يكف عما لا يحل له و يعطي أروع أمثله العفة !!

وأما الاستغفار : فهو طلب العفاف ، و المراد به : الكف عن الحرام ، وعن سؤال الناس

وقيل : الاستغفار هو الصبر و النزاهة عن الشيء.. .

قال تعالى : **{ وَلَيْسْتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ }** ^(١)

وفي الحديث الذي رواه البخاري ((ومن يستغفر يعفه الله)) ^(٢)

تزويج من لا زوج له :

فقد أمر الله عز وجل قبل هذه الآية من سورة النور بتزويج من لا زوج له من الرجال و النساء فقال سبحانه :

{ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ } ^(٣)

ثم بين الحق جل وعلا الطريق للذين لا يجدون نكاحا وهو الاستغفار حتى يجدوا ما يستعينون به على النكاح فقال سبحانه **{ وَلَيْسْتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى**

يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ. . . } الآية ^(٤) **{ أَنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }** ^(٥)

(١) (١) سورة النور ، آية : ٣٣ .
(٢) (٢) أخرجه البخاري (٢٣٥-٢٢٤/٣) في الزكاة ، ومسلم رقم (١٠٣٤) في الزكاة

(٣) سورة النور ، آية ٣٢
(٤) سورة النور ، آية ٣٣
(٥) سورة النور ، آية ٣٢

ففي هذه الآية إشارة إلى أنهم إذا التزموا جانب العفة أغناهم الله من فضله وهياً لهم أسبابه .

وكما تلاحظ : أن الأمر في الآية جاء بصيغة (الاستفعال) ..

" وليستعفف " وذلك لما يتطلبه هذا الأمر من جهاد للنفس وصراع لتذليل شهواته، كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : **(ثلاثة حق على الله عونهم : وذكر منهم : الناكح الذي يريد العفاف)** ^(١)

والعفة مطلوبة من المتزوج ومن غير المتزوج ولكنها في حق المتزوج أكد وأشد ولذا كانت العقوبة في حقه إذا ما انحرف أغلظ واقسى لضعف دواعيها وتحقق معظم مقاصدها لديه .

قال عليه الصلاة والسلام في الحديث المتفق عليه : **((لا يحل دم امرئ مسلم إلا بأحدي ثلاث وذكر أولها : الثيب الزاني))** ^(٢) أي المٌحصن .. أي المتزوج إذا زنى ...

ولكن انظر إلى المكافأة التي رتبها الله جل وعلا لمن دعت امرأته ذات منصب وجمال ... تعرضت إليه .. تهيات له ..

ولا مانع يمنعه من تلبية ذلك .. ولا رادع يخافه أو يحذره .. لا مراقب له إلا الله فقال : **أني أخاف الله !!**

فأن المولى سبحانه كافأه وجعله مع السبعة الذين يُظلمهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله. ^(٣)

(١) رواه الترمذي (١٦٥٥) في فضائل الجهاد والنسائي ١٦/٦ في النكاح وإسناده حسن كما قال الألباني في المشكاة والأرنؤوط في جامع الأصول ونصه : ((ثلاثة حق على الله عونهم : المجاهد في سبيل الله ، و المكاتب الذي يريد الأداء و الناكح الذي يريد العفاف))

(٢) الحديث أخرجه البخاري (١٧٦/١٢) في الديات ، ومسلم رقم (١٦٧٦) في القسامة

(٣) إشارة إلى الحديث الذي في الصحيحين حيث قال عليه الصلاة والسلام في مطلعه "سبعة يظلمهم الله في ظلة يوم لا ظل الا ظلة " رواة البخاري (١١٩/٢ - ١٢٤) في الجماعة ومسلم (١٠٣١) في الزكاة ومالك في الموطأ (٩٥٢/٢ و ٩٥٣) في الشعر ، والترمذي رقم (٢٣٩٢) في الزهد ، والنسائي (٢٢٢/٢٢٢) في القضاة

فَدَعْ شهوه ماضية إلى مكانة عند العزيز باقية ..

يقول ابن القيم رحمه الله : شهوات الدنيا كلعب الخيال، ونظر الجاهل مقصورٌ على الظاهر فأما ذو العقل فإنه يرى ما وراء الستر^(١)

ويقول ابن الجوزي رحمه الله : تحت عنوان سكره الهوى حجاب : أن الهوى يحول بين المرء وبين الفهم للحال ، فلا يرى إلا قضاء شهوته .. ولو مَيَّز العاقل بين قضاء وطره لحظه ، وانقضاء باقي العمر بالحسرة على قضاء ذلك الوطر ، لَمَّا قَرُبَ منه ولو أُعطي الدنيا .. غَيْرَ أن سكره الهوى تحول بينه وبين ذلك .

آه كم من معصية مضت في ساعتها كأنها لم تكن ثُمَّ بقيت آثارها، وأقلها ما لا يبرح ولا يزول من مرارة الندم ، والهزيمة أمام الشهوة، فمن نازعته نفسه إلى لذة محرمه فشغله نظره إليها عن تأمل عواقبها وعقابها .. كأن مثله في سوء اختياره كالمثل المضروب في :

خسيس الهمة :

(يضرب ابن الجوزي رحمه الله هذا المثل في خسة الهمة) فيقول: أن الكلب قال يوماً للأسد : يا سيد السباع .. غَيَّرَ اسمي فإنه قبيح ! فقال له : أنت خائن لا يصلح لك غير هذا الاسم! قال : فجرّبني

فأعطاه شقه لحم وقال : احفظ لي هذه إلى غدٍ وأنا أُغَيِّرَ اسمك! فجاع وجعل ينظر إلى اللحم ويصبر فلما غلبته نفسه قال : وأي شيء باسمي؟! وما كلب إلا اسم حسن، فأكل !

(١) الفوائد لابن القيم

يقول ابن الجوزي رحمه الله : وهكذا خسيس الهمة . . القنوع بأقل المنازل . . المختار عاجل الهوى على أجل الفضائل!^(١)

لماذا الشباب؟

ولماذا الحديث عن العفة في حياة الشباب خاصة ؟
لأسباب منها :

١- لأن الداعي المحرك لهم في هذا الجانب أعظم وأكبر مما لدى غيرهم ، ولذلك خصهم عليه الصلاة و السلام بهذا النداء الذي حثهم فيه علي الزواج والإحصان فقال:
(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج))

وبعد . . فلم يترك عليه الصلاة و السلام الأمر حتى تتوفر الإمكانية للزواج و القدرة عليه ، فقد لا تتوفر الإمكانية لكل احد منهم ولا القدرة على الزواج

فما هو الحل وما السياج الأمني لتلك المواجهة ؟

قال عليه الصلاة و السلام :

((ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء))^(٢)

وهذا يدل على عظيم حرصه صلى الله عليه وسلم على شباب أمته من الانحراف والانحراف المبني على معرفة خاصة بطبيعة وتركيب هذه المرحلة العمرية من لدن حكيم خبير.

(١) صيد الخاطر - ابن الجوزي

(٢) أخرجه البخاري (١٠٦/٤) في الصوم وفي النكاح ومسلم رقم (١٤٠٠) في النكاح

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (خص الشباب بالخطاب لأن الغالب وجود قوة داعية على النكاح بخلاف الشيوخ وان كان المعنى معتبرا إذا وجد السبب في الكهول و الشيوخ أيضا)^(١)

٢- لأن الشباب هم سرُّ قوه الأمة و عمادُ نهضتها ومبعث عزتها وكرامتها ، وهم عده مستقبلها وأهم ثروتها ، لما يتصف به من روح الإقدام والإقبال وصفاء الذهن والعقل ووفرة الطاقة والقوة ، لذا فهم الأقدر على قيادة الأمة وبنائها والعمل على صناعة حضارتها .

روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : ((ما بعث الله نبيا إلا شابا ولا أتى العلم عالم إلا شابا ثم تلا هذه الآية :

{ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ }^(٢)

وقد اخبر الله تعالى عن أصحاب الكهف بقوله : { أَنَّهُمْ فَتًى آمَنُوا بِرَبِّهِمْ }^(٣)

وتاريخ الإسلام في عهد النبوة بل في كل مرحلة من مراحل تاريخ هذا الدين حافلٌ بل ملىء بالأحداث الجسام ، والقضايا العظام التي كان يتقلد زمامها ويقودها إلى الإمام .. شباب .

((فتية امنوا بربهم)) وزادهم الله هدى ، فقد حملوا الإسلام إلى أرجاء المعمورة ، ونشروا دعوته في كل البقاع ، وقادوا الجيوش وفتحوا الأمصار ، ورفعوا راية التوحيد ترفرف على ربوعها وتأسر قلوب الموحدين.

(١) فتح الباري (١٠/٩) العفة ومنهج الاستعفاف ص ١٣٨ .
(٢) سورة الأنبياء ، آية : (الأثر أورده ابن كثير في تفسيره علي هذه الآية
(٣) سورة الكهف ، آية : ١٣ .

قلوبهم طهر يفيض على الوري
هم السلسل الصافي على كل مؤمن
هم الحلم الريان في وقدة الظمأ
هم الأمل المرجو أن خاب مؤمل
كأنى أراهم والدنا ليس في الدنا
أقاموا عمود الدين من بعد صدعه
وأيديهم تأسى جراح الخوافق
في جوفه الهيجاء نار الصواعق
وليس على الآفاق طيف بارق
وأوهن بُعد الشوق صبر السوابق
صلاحاً ونور الله يملأ المشارق
وأعلو لواء الحق فوق الخلائق

نعم فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ..
يُقدم أسامه بن زيد مع حادثة سنه على جميع الأنصار وكبار
المهاجرين لقياده احد جيوش المسلمين .
وولى عتاب بن أسيد على مكة وفيها كبار قریش .
وهل كان عليّ رضي الله عنه إلا شابا يافعا لما بات في فراش رسول
الله صلى الله عليه وسلم في ليلة الهجرة .
وكذا عمر الفاروق رضي الله عنه فقد كان شابا في مقتبل العمر لما
خرج من مكة مهاجرا في وضح النهار بينما كان الناس يخرجون
مهاجرين سرا ومتخفين ولم ينس رضي الله عنه (كما جاء في بعض
السير) أن يمر وهو في طريقه إلى الهجرة على أندية قریش
ومجامعها يتحداهم بهجرته إلى المدينة ويتوعد من يتبعه .
وابن عباس رضي الله عنه كان هو ايضا فتى يافعا يشار إليه بالبنان
لجلالة قدره وحفظه للعلم .
ومن فتح القسطنطينية التي استعصت على القادة إلا محمد الفاتح وكان
عمره يومها واحداً وعشرين عاماً .
فهذا السن هو باكورة الحياة ، وفيه قوتها ، فهو قوة بين ضعفين
..ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة

قال تعالى : { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ

(١)

جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ }

فلهذه الأهمية كان الحديث عن الشباب على الخصوص .

لأن الانحراف و الغفلة يعني تحطيم تلك القوة والقضاء عليها .

- وأيضا لأن أعداء الله لما علموا بأهمية الشباب ودوره في بناء الأمة خططوا ودبروا لتبديد هذه الثروة وتعطيلها فعملوا على عدة محاور من أخطرها :
- تسميم عقول الشباب بالأفكار المنحرفة وتغذيتهم بالتصورات الباطلة ، وتعطيلهم عن الأدوار التي تعود عليهم وعلى امتهم بالنفع .
- زرع روح الميوعة و الخلاعة في نفوسهم ، فأماتوا فيهم همم التطلع للمعالي و افساد طاقاتهم لتكون معاول هدم في جسد الأمة .
- قتل روح الفضيلة في نفوس الشباب وتحطيم جانب العفة في حياتهم لأن من تعلقت روحه بالدنيا لا يمكن له أن يضطلع بمهمة ولا ينهض بمسؤولية ، فزينوا لهم حياه الفاسقين وجعلوا أراذل الناس وفسقاهم قدوات ومُثُل عليا لهم .
- ولذلك يجب عليك أيها الشاب المسلم أن تعلم أنك إذا انجرفت عن جادة الحق وانزلقت في طريق الغواية وانحدرت في هاوية الرذيلة فرح بك أعداء الله لأنك حققت لهم ما يخططون ، ونالوا بك ما يتمنون . .

يقول أحد أعدائك:

(كأس و غانيه يدمران الأمة المحمدية ويفعلان فيها ما لا يفعله ألف مدفع).

(١) سورة الروم ، آية : ٥٤

مظاهر الانحراف و الغفلة :

وللانحراف مظاهر عدة :

فمن مظاهر الانحراف التي تنافي العفة وهي كثيرة : ما هو خطير وعظيم ، ومنها ما هو تافه وحقير ، إلا انه في غالب الأحيان يكون طريقاً موصلاً إلى الأول ، وسبباً ومنحدرًا إلى الانحراف الكبير أن لم يُستدرك فأن أول السيل قطرة كما يقولون ، وأن الجبال من الخصى فمن أراد أن يَسْلَمَ فليصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى .

فمن مظاهر الانحراف والغفلة :

- تعاطي المخدرات
- مشاهدة الأفلام الهابطة والصور الساقطة
- تناول المسكرات
- مصاحبة ومرافقة الفاسقين المعروفين بفسقهم
- الوقوع في الزنا
- السفور والتبرج لدى الفتيات و النساء
- ممارسة اللواط
- الميوعة و التخنث عند الشباب
- المعاكسات باختلافها (عبر وسائل الاتصال الحديثة المختلفة ، وفي الطرقات ، والمجامع العامة ،...
- إدمان التدخين عند الصغار أو الفتيات
- انعدام الغيرة أو ضعفها عند الرجال (لا يغار على نسائه أو إخوانه الصغار أو أقربائه وقريباته أو من يعول ولو نما إلي علمه ما هو خطير!!) .

وهناك ما هو دون ذلك ومنه ما هو أعظم.

أثار الانحراف والغفلة

أولاً : الإرواء الموهوم:

يغالط نفسه من يظن أنه يروي ظمأ شهوته بالانحراف وبالسبل المعوجة، وإنما هو في الحقيقة ما يزيدها إلا ظمأً على ظمأً، وتأجيجاً على تأجيج . . .
ديدن كل من أراد أن يُطفئ لهيب شهوته عن طريق الحرام فلم يجد إلى ذلك سبيلاً ولن يجد . . . عقوبة له من الله.

فكل طريق معوج يسلكه المنحرف يفتح عليه أبواباً لا حصر لها من ذلك الرصيد المتعثر، فهو كالذي يشرب من ماء البحر ليروى فيشعر بالامتلاء كلما شرب ولا يزيده ذلك الامتلاء إلا عطشاً.

وقد أحسن الناظم حيث قال مصوراً حال من سلك طريقاً من طرق الهوى فقال:

وأن وجدَ الهوى عذب المذاق
مخافة فرقة أو لاشتياق
ويبكي إن دنوا خوف الفراق
وتسخن عينه عند الفارق

وما في الأرض اشقي من مُحِبٍ
تراه باكياً في كل وقت
فيبكي إن نأوا شوقاً
فتسخن عينه عند التداني

وقد قال بعض أهل العلم : (من أحب شيئاً غير الله عذب به)

يقصدون بذلك : المحبة في معصية الله ، بينما من هذب نفسه وألزم شهوته حدود ما أنزل الله وما أبيح له فانه لا يجد من ذلك القلق والعذاب النفسي شيئاً،

ولا يشعر بذلك النهم من الجوع الشهواني، والبحث له عن الإرواء الحيواني ،
بل يعيش عفيف النفس ، عزيز الهمة .

ومن آثار الإنحراف والغفلة ..

ثانيا : الحرمان من المتعة الحلال :

أن الله يحرم من أنحرَف ونبذ العفة . . . يحرمه من المتعة الحلال !

ولك أن تسأل كيف يكون ذلك ؟

فالجواب : أن الذي يعتاد النظر إلي المحرم فأن نظره لا يقع إلا على الفاتن من النساء، والمغري من الصور، والمثير من الهيئات والأحوال ، وأن الذي يقارف ويواقع هذه الفتن فانه إن رجع بعد ذلك إلى زوجه أو تأهل وأراد أن يعاشر أهله شعر بالفرق الصوري ، واختلاف الهيئتين والحالين !!

لأنه لا يجد ذلك الجمال الفاتن (المنتقى بعناية لتلك الأغراض الدنيئة) !

ولا تلك الهيئات المثيرة (التي منتجت بأرقى الاستديوهات المنحلة) !

ولا هاتيك الأحوال المغرية (التي اشرف عليها مخرجين محترفين مبتذلين) !

وتراه كلما وقع بصره على شيء قارن وتخيل تلك الاحوال والصور ،
فيرغب عن أهله ويزهد في حلاله لأنه لا يجد فيهم ما يرضي نزوته وخياله
الفاسد ، فيُحرم متعه الحلال ، ويظل يلهث وراء اللوث الساقط و المتاع
الزائف ، الذي لربما كن مآله فيما بعد حرمانه من متعة الآخرة ، وما أعده الله
لعباده من منتهي ذلك المتاع الذي لا يوصف ولا يقارن بمتاع الدنيا .
وقد يكون الحرمان من تلك المتعة الحلال في الدنيا من جانب آخر :

وذلك حين يبتلى بما يُصاب به من أمراض من جراء تلك الفتن التي يواقعها ويمارسها كأمراض السيلان والزهري ، أو العجز أو ما يسمى (بالعنة) فتكون عقوبته من جنس عمله .

ومن آثار الإنحراف و الغفلة ..

ثالثاً: الفضيحة :

ولها صور عدة فمن صورها: افتضاح الإنسان بسبب جريمته التي ارتكبتها، حتي يصير حديث المجالس ، تلوكه الألسن ويوصم بالعار ، فان للمعصية اسوداداً في الوجه ولا تنكر، وظلمه في الذكر لا تجهل وسوءة في الأثر.

ومن صور الفضيحة:

الابتلاء بالسفر إلى الخارج لإغراض مبتذلة ، والذي أصبح لبعض المنحرفين وصمه عار يدانون بها كلما عزموا على السفر وتهيئوا له ، لمعرفة غرض ذلك السفر ، وما يقصدون من وراءه.

ومن صور الفضيحة:

ما يصاب به أولئك المنحرفين بالأمراض الجنسية التي يفتضحون بها عند أهلهم ولدى الأطباء ، ولربما الأقارب وحتى غيرهم ، وما أدراك ما تلك الأمراض المخزية التي منها : المزمّن ومنها المهلك ومنها المعدي ، ومنها ما بين ذلك ودونه أو ما هو أنكي وأبلى عافانا الله منها.

يقول علماء الطب : أن المصابات من النساء ببعض تلك الأمراض الجنسية يصير فيهن حقد عجيب على الرجال الذين فيسعين إلى نقل عدوى تلك الأمراض بما يحملونه من فيروساتها بالطرق الشتى (عافانا الله وإياكم).

يقول الشاعر :

أصون عرضي بمالي لا أدنسه لا بارك الله بعد العرض بالمال

فمثل هذه الشهوات تعمي وتصم أصحابها ، فلا يعرف معها المنحرف عفة ولا حياء ، ولا حرمة ولا عرضا ، يغلق عليه الشيطان فلا يرى إلا ذلك الطريق المظلم الذي ينال به شهوته . . يزينها في نفسه ويجملها في عينه فلا يفوتها حتي ينال منها بغيته .

تولع بالعشق حتي عشق فلما استقل به لم يطق

رأي لجة ظنها موجة فلما تمكن منها غرق

تعمى بصيرته فيري الأشياء على غير ما هي عليه في الحقيقة ، قال تعالى وهو يصف قوم لوط المنحرفين بجريمة اللواط فيصفهم بهذا العمى في البصيرة فيقول جل وعلا { لَعَمْرُكَ أَنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ }^(١) أعاذنا الله وإياكم من طمس البصيرة ومن عماها.

ومن صور الفضيحة:

فضيحة تتعدى بصاحبها الحياة الدنيا ، وذلك حينما يقف المنحرف على مشارف هذه الحياة وهو يودع الدنيا ولكن بأي صورة وآية حال . . صورة يتجلى فيها خذلان الله لذلك المنحرف بخاتمة السوء وفضيحة النهاية. فترى وتسمع من الحوادث المؤلمة لنهايات الكثير من أولئك المنحرفين عند الممات.

وإليك هاتين الحادثتين التي لربما سمعت بها أو قرأتها في غير هذا الموضع مما نقله وتحدث به بعض الدعاة او طلبة العلم.

(١) سورة الحجر، آية : ٧٢

الحادثة الأولى :

ما كان من أمر مجموعة كانوا يلتقون على ألوان من الفساد ، فحدث ذات مرة أن اجتمعوا على فسادهم المعهود واثناء ذلك احتاجوا إلى بعض الشراب والطعام فندبوا أحدهم إلى هذه المهمة ، فتأخرفي عودته كثيراً ، فلما استبطأوه ، ندبوا آخر منهم يستكشف لهم الخبر ويعرف سبب تأخره ، وفي طريق العودة والبحث عن صاحبه لفت نظره انقلاب سيارة في مكان مظلم قد اندلعت منها النيران حتى خمدت وليس بجوارها أحد فاقترب منها متوجساً أن تكون سيارة صاحبه ، فلما اقترب واصبحت تتضح له معالم السيارة شيئاً فشيئاً ، صدق ظنه ، فإذا بالسيارة المحترقة هي سيارة صاحبه التي يعرفها تماماً ، عندها هرع إليها مسرعاً ليتعرف على مصير صاحبه او لعله ينقذ ما بقي من حياته فلما وقفت به رجلاه إلى موقع الحدث أنهى إلى السيارة ، نظر فيها ، فإذا ببصره يقع علي شيء مهول مرعب ! فماذا رأي ؟

رأى صاحبه ومازالت به الحياة بعد ولكن .. قد أكلت النار نصفه الأسفل وهو يصيح ويصرخ بما بقي فيه من حياة !

أنه منظر مفزع ومهول !! فحاول إخراجه والخوف يملأ قلبه ، ومنظره الأليم على نفسه يزيد الموقف حرجاً وشدة ، وبعد جهد من المحاولات استطاع أن يخرج من السيارة وينقله إلى سيارته لإسعافه . فوجئ بصوت صاحبه وهو يأن من الألم ويقول بصوت متقطع :

ماذا أقول له ؟ ماذا أقول له ؟

فالتفت إليه صاحبه ، فلما وقع نظره على نصفه المحترق ونصفه الآخر المهدود وهو ينطق بتلك الكلمات بصوت متهدج ، كأنه قادم من بعيد ، فقال له : من هو ؟ من الذي : ماذا تقول له ؟ فقال : الله

وكانت هي نهاية كلامه التي لفظ فيها أنفاسه الأخيرة ، وهي النهاية المفجعة لتلك الحياة الصاخبة بألوان الفساد وأشكال الرذيلة

الله ، ماذا أقول له ؟

ثم مات . . . (بدون تعليق)

الحادثة الثانية:

وهو ما حدث به أحدهم وقد كان علي موعد مع صديق له في فندق من الفنادق في إحدى بلاد المجون ليعاقدوا معا ألوانا من الرذيلة ، فلما جاء إلى الفندق وجد حريقا قد اندلع في ذلك الفندق وشاهد ألسنة النار وهي تتراقص من نوافذه وأبوابه فأنشغل تفكيره بصديقه، وتمنى لو أنه لم يصل الفندق بعد، وحاول الدخول ليطمئن على عدم وجوده في الغرفة التي اتفقا أن يكون الموعد فيها، ولكن هيهات من الوصول مع تلك الحالة الفظيعة من اندلاع النيران واحتراق واجهات الفندق المختلفة، وبين فينة وأخرى ينظر إلى الطريق وإلى السيارات التي تقف بجوار الفندق المحترق عله أن يرى صديقه يأتي من جهتها، وطال وقوفه وتفكيره وهو يطالع بكثب جهود رجال الإنقاذ والإطفاء فلما هدا الضجيج وخدمت النيران ودخل الناس يتفقدون ذويهم ومعارفهم دلف هو مسرعا معهم داخل الفندق واتجه نحو مكان الغرفة ، فما أن وصل إلى الغرفة ، حتى فجع بشيء لم يصدق ، لقد وجد ...

ماذا وجد ؟ وجد صديقه موجود في نفس الغرفة ! نعم ولكن كيف وبأي حال وجده؟ لقد كان الموعد بينهما في الغرفة مع بغي من البغايا والعياذ بالله

فوجد صديقه وتلك البغي في نفس الغرفة لم يستطيعا الخروج منها وقد أتت عليهما النار حتي صارا فحمتين سوداوين (قد تفحما) !

وهكذا مات صديقه !

وتلك كانت نهايته ، في أحضان بغي داعر!
تلك كانت فضيحة الدنيا وأما فضيحة الآخر فهي :

صورة أخيرة من صور الفضيحة:

وهي أشد وأنكى ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((يُبعث كل عبدٍ على ما مات عليه . . .))^(١) .

فأي ميتة ماتها صاحب تلك الحادثة وأي مبعث سيبعث عليه ، وعلى أي حال سينشر مع بقية الخلائق !!

فمن منا يأمن أن يباغته الموت في أي لحظة ؟
فثرى أي حالٍ سيموت عليها الإنسان . وستموت وأموت عليها ، نسأل الله أن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم أن نلقاه.

وأما العرض فما أدرك ما العرض ثم ما أدراك ما يوم العرض ، يوم أن يقف العبد بين يدي الله تعالى ، ويناديه ربه على رؤوس الخلائق بفضائحه التي ارتكبها في الدنيا.

فالله المستعان . نسأل الله العفو والستر في الدنيا والآخرة.

ومن آثار الإنحراف والغفلة :

رابعاً : انتزاع الغيرة :

اعلم أن من يداوم على معاقرة المنكرات ومضاجعة المحرمات ، تضعف الغيرة في نفسه على مرّ الأيام ، وعلى الخصوص تلك المحرمات المتعلقة بالأعراض ، ولا شك أنها حاله من الانتكاس العظيم في الطبع والسلوك ، والانطماس في البصر والبصيرة

(١) رواه مسلم رقم (٢٨٧٨) في الجنة باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت

يصل إلي سويداء القلوب حتي تصير تلك القلوب تعمل علي غير ما فطرت عليه وله،
فالدّم الذي يغلي في قلب المؤمن الكامل الغيرة على عرضه ، يفقده قلب المنحرف ،
فلا تراه يحرك ساكنا غيرة على عرضه ! .

ولطالما سمعنا بمن كان ييسر العلاقة الغرامية لأخته مع من تريد والعياذ بالله ، من أجل
أن تيسر هي له علاقته بمن يريد من الفتيات ، وهذه هي والله الدياثة بعينها ، أو تجده
يسمع أو يعرف عن أحوال محارمه من السوء (مدخلا أو مخرجا أو علاقة) ثم لا تراه
يحرك لذلك ساكنا والعياذ بالله !

أليس هذا بخذلان ؟! أليس هذا بانحطاط ! أليست هذه بعقوبة ! بلى والله
انه الانتكاس في الخلق والفطرة ، وسببه الإنحراف!! .

كم سمعنا من الحوادث الأليمة التي جناها الإنحراف على اصحابها ، وهي جريمة
تعاطي المخدرات . . مما يتفطر لها القلب كمدا ، ويموت الحرُّ بسماعها حسرة . . .
انه من يبيع عرضه الغالي - عرض أخته أو ابنته أو زوجته - على تجار المخدرات أو
سماسرتهم يبيعها ويعرضها كما تُعرض وتباع الإماء في أسواق النخاسة بل أخس ، في
سبيل الحصول على حبات من هذا المخدر أو ذاك والعياذ بالله!!

ومن صور ضعف الغيرة أيضا أو ذهابها بالكلية ما يكون فيها الرجل مجبوراً على
السكوت عن السوء الذي يكون في أهله والعياذ بالله ، وذلك عندما يكون منحدرًا في
سبل الإنحراف ، وأهله يعلمون عنه ذلك ولا ينكرون عليه فعله

إما ليأسهم من حاله أو ضعف إيمان فيهم أو... أو ... فتراه يبادلهم التعامل نفسه من
السكوت عن صنيعهم لأي خلل سلوكي يقعون فيه ، فتراه لا يمنعهم من تصرفات

واعمال تدعوا إلى الغيرة عليهم ، خشيه أن ينكروا عليه أفعاله أو يضيقوا عليه سوء صنيعه أو يعيقوا ذهابه إياه !!

وهي من الطوام التي تضيع لدى امثاله الأعراض فيفقد معها مقومات الولاية على من عنده !!

وبقدر ما يعاقر العبد من المعاصي التي تنافي الغيرة يفقد من درجه الغيرة في قلبه ، أثراً من آثار ذلك الانحراف ، وعقوبة .

لفته: تفاوت الغيرة عند الحيوانات

لما كانت حياه الغرب نفقاً مظلماً من ألوان الانحلال والانحراف، والشذوذ يملأ عليهم حياتهم كلها ، لم يكن لكلمه العرض في قاموسهم ولغتهم معني يعرفونه ، بل وليس هناك ثمة كلمة أخرى لديهم تقابلها بالمعنى .

ومعلوم ، كما هو شائع : أن الخنزير (الحيوان المعروف) هو الحيوان الوحيد الذي إذا رأى ذكراً آخر يقترب من أنثاه ، بل ويطؤها ، فإنه لا يحرك لديه ساكنا ، ولا يغار عليها كما تغار بقية الحيوانات على إناثها إذا اقترب منها ذكر آخر

بينما تجد على سبيل المثال الحيوان المعروف (الديك) فإنه يُعد من أشدّ الحيوانات غيرة ، فأن من رآه يري ذكراً مملوءاً غيرة على أنثاه، تصل غيرته إلى حد القتال مع الديك الآخر والذي ينتهي أحيانا إلى إماتته إذا ما اقترب من أنثاه.

وإذا كان أكل لحم الخنزير أمراً متعارف عليه عند الغرب فليس بغريب أن يكتسبوا شيئاً من أخلاقه كما أفاد به بعض أهل الاختصاص ، . . فقد كانت العرب لا ترضع صغارها من المرأة الحمقاء لئلا تكسبهم من حمقها و أخلاقها ،

وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن سكينه أهل الغنم وجفاء أهل الإبل لما يكتسبه كل منهم من طباعها نتيجة معاشرتها وما تحتاجه من تعاهد ورعاية علي مرّ الوقت والزمن .

لفتة وفائدة :

ذكر الشيخ عطية سالم رحمه الله في احد دروسه الفقهية وهو يتحدث عن (حكم الوضوء من أكل

لحوم الإبل) فقال : (.. يجمع علماء التغذية والأطباء بأن كل طعام له خصائصه في الغذاء وله

تأثير على الأكل، فهناك -كما تعلمون- الألبانيون، وهناك النباتيون، وهناك غير ذلك، فالنباتيون لا يأكلون اللحوم، ويرون أن اللحوم تؤثر على القلب وعلى الروح، وأن النبات أخف غذاءً، ويتفقون -أي: علماء التغذية والأطباء- أيضاً على أن تناول الحليب أو الألبان ومشتقاتها تهدئ الأعصاب،

وأن أنواعاً من اللحوم توتر الأعصاب وتثيرها، وأن... وأن... إلخ. ومن هنا نجد أن الشريعة المطهرة نهت عن أنواع من اللحوم لغرائز في أصولها، فنهى صلى الله عليه وسلم عن أكل لحوم الحمر الأهلية، بينما الحمر الوحشية تصاد وتؤكل، وكان الجميع يؤكل إلى عام خيبر، فنهى صلى الله عليه وسلم في عام خيبر عن أكل لحوم الحمر الأهلية، فقالوا: سبحان الله! هذه أهلية لا تؤكل، وقد كانت تؤكل من قبل، وتلك بريّة وحشية تؤكل.. لماذا؟! فأجابوا وقالوا: إن الحمار من طبيعته اللؤم والخسة، بمعنى: أنه يخاف من القوي، ويتلاعب بالضعيف، فإذا وجد غلاماً صغيراً تلاعب به، وإذا وجد شخصاً قوياً انقاد إليه، ولذا قيل: الأم من حمار، وهو أيضاً يصبر على الذلة ولذا قيل:

ولا يقيم على ذل يراد به إلا الأذلان: عير الحي والوتد العير: هو الحمار، يضرب ويمتهن فيصبر على الذل ولا يحرك ساكناً، أما الحمار الوحشي فليس فيه ذلك؛ لأنه يعتمد على نفسه في حياته،

وفي دفاعه عن نفسه من بقية الوحوش، ويسعى على أكله وطعامه، ولذا يقول أصحاب علوم الحيوان: إن التولبة -وهي أنثى الحمار الوحشي- إذا ولدت تولباً صغيراً كسرت رجله؛ ليبقى في

جحره إلى أن يجبر الكسر، فيكون قد كبر وقوي، فيستطيع أن يسرع وأن يسابق الوحوش فيسلم منها، أما لو تركته قد يدب وهو صغير فيخرج من جحره فتأكله الوحوش. إذاً: فهو يعتمد على

نفسه في حياته وفي طعامه، بعيداً عن خصلة الذلة والإهانة.

قال الشيخ : وإذا جننا إلى تحريم لحم الخنزير، يقول أبو حيان: إن كل الحيوانات لديها الغيرة على أنثاهما إلا الخنزير؛ فإنه لا غيرة له على أنثاه، فمن أكثر من لحم الخنزير سلب الغيرة على حريمه -يقول في تفسيره-: وقد شاهدنا ذلك في بلادنا ممن يكثر من أكل لحم الخنزير، أنه لا غيرة لديهم على نساءهم. (المصدر - موقع المسكي)

ومن آثار الانحراف والغفلة:

الجزاء من جنس العمل :

وأعني به أنه من تعرّض لأعراض الناس تُعرّض لعرضه ومن دخل حمى غيره دخلوا حماه بغير إذنه !!
يقول الإمام الشافعي رحمه الله :

وتجنبوا ما لا يليق بمسلم	عفوا تعفُ نساءكم في المحرم
كأن الوفاء من أهل بيتك فاعلم	أن الزنا عارٌ إن أقرضته
أن كنت يا هذا لبيباً فافهم	من يزني يزني به ولو بجداره

وكما قيل : (دقه بدقه ولو زدت لزاد السقا)

فمن أراد ان يحفظ له عرضه فليحفظ أعراض الناس وليحذر ان يتعرض لها...
يذكر أحد الأخوة الفضلاء وهو (رئيس إحدى هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) يقول: قبضنا ذات يوم على شاب وفتاة في علاقة محرمة وبعد استكمال الإجراءات اللازم بحقهما ، تم توجيه النصيح لهما ، وخوفاً بالله من أن يعودا لمثله ..

يقول : وبعد مضي فترة زمنية طويلة على الحادثة المذكورة ، وفي يوم من الأيام يقول : وبينما كنت جالسا في مكتبي بمركز الهيئة فإذا بذلك الشاب صاحب الحادث المذكور أنفاً يدخل علي وبعد أن رحبت به ، استفسرت عن حاجته ففاجأني بخبر

حزنت له كثيراً وتأملت !! ... أخبرني بأنه جاء بناءً على استدعاء منا له ، لأنه ولي أمر فتاتين تم القبض عليهما من قبل الهيئة في قضية خلوة غير شرعية !!

فقلت له : هذه بتلك، وكما تدين تدان (أو كما قال)

فالجزاء من جنس العمل . . والمقصود به هنا ، ان مثل هذا الشخص اذا استمرىء الفساد هان عليه امره وتجرو عليه فانه لا يُستأمن على الأعراض ، فليس للعرض من نفسه تلك القيمة أو الحساسية فيُستبعد عليه أن يحفظ ما تحته من محارم إن رأي منهن تبدلاً أو أن يصونهن عن الآخرين ، فضلاً عن أن يمنع أسباب الفساد من دخول بيته ، أو أن يسعى في إصلاح من يعول، عندها فقط ستكون النتيجة معروفة بقدر ألمها.

وهذا ليس ببعيد او غريب ..

واسمع معي إلي هذا الحوار الذي ينقله أحدهم من على كرسي قاعات الطلاب المختلطة بين شاب وفتاة في إحدى الجامعات في بلد ما .

يقول وهو يُقسم أنه أستمع إلي هذا الحوار الذي دار بينهما عن العلاقات الغرامية:

تقول له : هل أنت من الناس الذين يمنعون أخواتهم من الإتصال بمن تحب !! ؟ هكذا

فقال لها : أن أبي يقول لي دائماً: يا ولد ، أنتبه لأختك ، من أن يتعرض لها أحد أو ..

قالت له : وأنت ما رأيك ؟ هل توافقه ؟

فقال لها وبكل وقاحة ودياسة : أنا الذي يسهل لها الاتصال بمن تريد ممن تُحب من الشباب !!

يقول الراوي: والله لقد كان هذا رده على زميلته في كرسي الدراسة المختلطة !!

عندما ماتت غيرته بتعرضه واعتدائه واستهانته بأعراض المسلمين . ماتت غيرته

علي عرضه والعياذ بالله !!

وأختم بهذه القصة^(١) التي يقول راويها : يحكي لي أحدهم وهو يشكو لي همه : أنه كان

مع صديق له في بيته - أي في بيت الصديق - وكان صديقه يحادث فتاة عن طريق الهاتف بكلام غزلٍ مبتذل- فعرض عليه ذلك الصديق أن يكلمهما في تلك اللحظة (أي

(١) رسالة أخي المسلم إليك- وليد بن عثمان.

أن يكلم صديقه ويأخذ حظه منها في المغازلة عبر الهاتف)، فلما كلمها كانت المفاجأة والمصيبة والألم القاتل لقد كانت تلك الفتاة التي يحادثها صديقه عبر الهاتف هي أخته!!

ومن آخر آثار الإنحراف والغفلة :

ما أجمله ابن القيم رحمه الله تحت عنوان مساوي الشهوات فقال:

الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر علي ما توجبه الشهوة فأنها :

إما أن توجب ألماً وعقوبة وإما أن تقطع لذة أكمل منها.

وإما أن تتلم عِرضاً توفيره أنفع للعبد من ثلمه.

وإما أن تذهب مالاً بقاءه خير له من ذهابه.

وإما أن تضع قدراً وجاهاً قيامة خير من وضعه.

وإما أن تسلب نعمة بقاءها ألد وأطيب من قضاء الشهوة.

وإما أن تطرق إليك وضعياً لم يكن يجد إليك طريقاً قبل ذلك.

وإما أن تجلب هما وحرناً وخوفاً لا يقارب لذة الشهوة.

وإما أن تشمت عدواً وتحزن ولياً.

وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة.

وإما أن تحدث غيباً يبقي صفه لا تزول . .

فإن الأعمال تورث الصفات!!^(١)

(١) الفوائد لابن القيم ص ١٨٢.

أسباب الإنحراف ؟

إن للانحراف أسبابا عديدة منها:

١- غياب الوازع الديني :

المانع من الوقوع في صغائر المعاصي فضلا عن كبائرهما والمتمثل بالتربية الإيمانية بكل معانيها وأحوالها.

٢- ضعف التربية الأسرية:

فالمرء الذي نشأ في بيئة إيمانية تبدأ في حسن اختيار الزوج^(١) والزوجة^(٢) مروراً بقول المرء عندما يأتي أهله :

((اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا . .))^(٣) الحديث فلا يمسه

شيطان ببركه هذا الدعاء ، إلى الأذان في أذن المولود حينما يستهل صارخاً إلى تعاوده بحسن التوجيه في صغره وعنايته بالتربية القويمة وتأديبه بخلق الإسلام ، إلى أمره بالصلاة عند السبع وضربه عليها عند العشر والتفريق في المضاجع ، والسؤال عن صحبته وأن أمكن مساعدته في اختيارهم ، والنظر في مدخله ومخرجه، إلى تجنيبه الفتن من النظر والسماع واللباس

والخلطة و . . . وأسباب الفساد أجمعها ، وتعاوده في ذلك كله بالدعاء المتواصل بالصالح والاستقامة والهداية ، والتسديد وتذليل أسباب ذلك له ، وتشجيعه على ركوب سبلها.

(١) لقول النبي صلى الله عليه وسلم ((إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه . . .)) الحديث رواه الترمذي . (٢٠١/١) والبيهقي (٨٢/٧) وحسنه الألباني في الإرواء (١٨٦٨) وفي صحيح الجامع رقم (٢٧٠) ..

(٢) لقول النبي صلى الله عليه وسلم ((فاظفر بذات الدين تربت يداك)) أخرجه البخاري (١١٥/٩) في النكاح ومسلم (٦٦٤١) في الرضاع ..

(٣) من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في الجماع أخرجه البخاري (٢٤٠/٦) في بدء الخلق ومسلم (١٤٣٤) في النكاح ..

أن لم يكن ذلك كله أو معظمه ، وإلا فأن ترك الحبل على الغارب لا ريب أنه يأتي وحتماً إلا أن يشاء الله بالنتائج المعكوسة لما سبق والآثار الخطيرة والنتائج الوخيمة التي لا تحمد عواقبها .

يقول أحد الشباب المدخنين في تحقيق أجرته معه إحدى الصحف اليومية : (إن أولياء أمورنا هم المسؤولون عنا بالدرجة الأولى ، فأنا لم اسمع من والدي يوماً يسألني أين أذهب ! ومع أي شخص أخرج ! وحتى لو علم بأنني أدخن فلا يعمل شيئاً ، وقد وصل الإهمال عند أولياء أمري لدرجة أنني سافرت مرة في الإجازة ومكثت في سفري ما يقارب من (١٥) يوماً وعندما رجعت لم يسألوني مع من ذهبت بل حتى إلى أين سافرت !)

فهل يشك أحد بأن هذا لن يكون سبباً من أسباب الانحراف ، أن لم يكن من أهم أسباب الانحراف ؟

٣- الصحبة الفاسدة:

فكم من شاب وفتاة انحرفا لما اختلطا بصحبة فاسدة ، فالصاحب صاحب كما قيل . . وقد قيل أيضاً: قل لي من تصاحب أقل لك من أنت .

((المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال))^(١)

غاب أحد الطلاب عن المدرسة أسبوعاً كاملاً وكان والده حريصاً على إيصاله إلى باب المدرسة بنفسه كل يوم ولكن الطالب عند إيصال والده له إلى المدرسة كل يوم ، إلا أنه لم يحضر إلى المدرسة أسبوعاً ، فكيف كن يحصل ذلك؟

(١) الحديث رواه أحمد والترمذي وأبو داود والبيهقي في شعب الإيمان وقال الترمذي حديث حسن غريب وقال النووي إسناده صحيح وحسن الالباني في المشكاة (١٣٩٧/٣) رقم (٥٠١٩)

الذي كان يحصل هو: أن الطالب كان يدخل من باب المدرسة الخارجي أمام والده فإذا تحرك والده مغادراً خرج هو من المدرسة ليلتقي بصحبة سيئة كانت تنتظره بالقرب من المدرسة يقضي معهم طيلة وقت الدوام (في المشاكسات والمشاكل) ثم يعود قرب نهاية الدوام ليستقبل والده استعداداً للعودة معه من المدرسة !! تماماً وكأنه يدوام تلك الأيام في المدرسة كاملاً (منتهزاً عدم وجود هاتف في منزلهم يُتابع من خلاله ولحظة انتقال والده من عمله السابق إلى عمل جديد لا يُعرف رقم هاتفه)^(١)

وخرج شباب آخر من دار الرعاية الاجتماعية التي سبق أن دخلها بسبب قضية من القضايا الاخلاقية مع (شَلَّه) مجموعته سوء . . ولما خرج من الدار كان بفضل الله ثم بجهود القائمين علي تلك الدار من الرجال الصالحين- خرج من اظهر الشباب وأزكاهم وأنقاهم ، يصوم الاثنين والخميس ويحافظ علي الصلوات الخمس في أوقاتها ولا يفارق المصحف جيبه ، وما هي إلا أسابيع معدودة حتى أنتكس إلى ما كان عليه قبل دخول الدار ، فلما بحثوا في الأسباب وجدوها لا تفارق السبب السابق وهي الصحبة القديمة التي لم تنفك عن إغرائه حتى أسقطته ثانية في شباكها وهي اليوم توشك أن ترجعه إلى الدار ثانية بسبب قضية من القضايا جديدة^(٢)؟!

وأن كان هذا في عالم الشباب من الذكور فان في حياة الفتيات مثل هذه الأخبار ونحوها بسبب الصحبة السيئة ما يدمي له القلب وتدمع له العين أساً:

(١) رواية علي لسان أحد مدراء المدارس
(٢) علي لسان أحد مدراء المدارس

تقول إحدى الفتيات اللاتي سقطن ضحية الإنحراف : أن البداية كانت بإغراء شيطاني أملته عليّ صديقتي في كيفية اقتناص الشباب عن طريق الهاتف والتقاط أرقام التلفونات ويا لها من شيطانة متلبسة بثياب أنسنة ألفتني بين أنياب ذئاب بشريه لم ترحمني!!

٤- التساهل في النظر المحرم و السماع المحرم:

بداية كثير من ألوان الإنحراف والتلبس بها والوقوع في برائتها ، سببه إرسال النظر في ألوان من المحرمات وإطلاق السمع لألوان أخرى منها .
فأن الحوادث المؤلمة والعواقب الوخيمة **كما قال ابن القيم رحمه الله : مبدؤها من النظر ، كما أن معظم النار من مستصغر الشرر**، لأنها ليست نظرة عابرة فحسب ولو كانت كذلك لهان الأمر ، ولكنها نظرة في الغالب تتبعها خطرة (أي خاطر في القلب والفكر) ثم تتبعها خطوة فتنتهي إلي خطيئة ، فسبحان من خلق الأشياء وهو يعلم كنهها وحقيقتها . . . وهذا هو الواقع المر للنظر المحرم فإنه لا يقف عند حدود النظر الذي يرافقه عادة تلذذ بالمنظور بل هو يريد القلب ومرآته التي يشتهي بها المحرم ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه.
ولذلك قال الله تعالى : { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ } ^(١) .

فانظر إلى الربط بين حفظ البصر وحفظ الفرج .

(١) سورة النور الآية ٣٠

قال الشاعر:

وأنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظرُ
رأيت الذي لا كُله أنت قادرٌ عليه ولا عن بعضه أنت صابرٌ

والنظر حظ الإنسان من زنى العين كما قال صلى الله عليه وسلم : ((أن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنى العينين النظر. . .))^(١) الحديث.
ويقول ابن الجوزي رحمه الله : ((فاحذر يا أخي وقاك الله من شرِّ النظر فكم قد أهلك من عابدٍ وفسخ عزم زاهدٍ ، فاحذر من النظر فإنه سبب الآفات ، غير أن علاجه في بدايته قريب وسهل فإذا كُثر تمكن الشر فصعب علاجه))

هذا بمجرد النظر للغاديات والرائحات في الأسواق والأعراس والمنتزهات و . . . ، فكيف إذا كان في مشاهدة الحرام من الأفلام و الصور ونحوها ، نسأل الله السلامة والعافية

وأما السماع وأقصد به السماع المحرم، فاسأل عنه من سكر في هواه وأطربه غناه وهام في سلواه كيف تأثير في قلبه ، وما يفعله في نفسه إذا ما استمع له من أي لون كان أو صوت أو نغمه ،

إن تأثيره في قلب صاحبه تأثير عجيب تُنبئ عنه أحوال المصابين بآثار ذلك يقول الله تعالى وهو يشير جل في علاه إلى لون من ألوان ذلك السماع : { فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ

الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا }^(٢)

(١) رواه البخاري ٢٢/١٠ في الاستئذان ، ومسلم رقم (٢٦٥٧) في القدر ، وأبو داود رقم (٢١٥٢) في النكاح.
(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٢

جاء هذا في معرض التحذير من خضوع المرأة في القول إذا ما حادثت الرجال ، فإذا كان هذا بمجرد الكلام و الحديث من المرأة ، فكيف إذا كان ذلك منها غناء وتغنج وتكسر وتمييع.. كيف يكون تأثير ذلك- بالله عليك- في قلب الرجل إذا ما استمع إليها ، أو كان المغني رجل فاستمعت إليه المرأة وهو يتغنج بكلام الغزل بأعذب الألحان، ماذا سيحدث لقلبها؟! وما سيحصل لعواطفها؟.. فكم كم فتاه سهرت ترقب من يسمعها ذلك عبر سماعة الهاتف أو غيره.

وعن خطر السماع وأثره ، وأنه سبيل من سبل الشيطان للغواية ، اسمع إلى المولى سبحانه ماذا قال عنه في كتابه الكريم : {وَاسْتَفْزِرْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} ^(١) الآية

فتأمل قوله سبحانه : {وَاسْتَفْزِرْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ} ^(٢) وما أدراك ما صوت الشيطان ' وكيف يكون استفزازه والغناء من ألوان السماع المحرم بلا شك وقد سمّاه الله في القرآن بلهو الحديث .. فقال تعالى : {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ

سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} ^(٣)

(١) سورة الإسراء الآية ٦٤

(٢) سورة لقمان الآية ٦

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : قال بن مسعود هو والله الذي لا إله إلا هو،
الغناء كذا قال ابن عباس وجابر وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومكحول
وغيرهم^(١) .

ومما يؤكد ذلك في واقع البشر ما توصلوا إليه أخيراً من علم في هذا المجال ، يقول فيه
أحدهم وهو من يدعي ب فان ديفلد: (أن عالم الأصوات المنسجمة والملحنة له تأثير
مهيج ، قوي، شديد في زوي المشاعر المرهفة من ناحيتي الذوق والشهوة الجنسية ؟ أن
الموسيقي والمعارف تنثير كوامن العواطف ونوائم الغرائز وتشعل الرغبة لظى وسعاراً
... ولا بد لهذه العواطف أن ترتوي ولا بد لهذه النار أن تنطفئ... إلى آخر كلامه الذي
لا يحتاج إلى تعليق !!

٥- الإختلاط : فان عواقبه وخيمة ، وأثاره لا تحمد أبداً ، فكم أورث من
علاقات مشبوهة ، وأخرى محرمة مُدمرة...

قيل لامرأة حرة وقعت في الزنا مع خادم لها مملوك ، ما الذي حملك على ذلك و أنت
حرة ؟ قالت : (طول السهاد وقرب السواد)- أي طول السهر والتفكير، وتقارب
الأجساد ، ولذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم من دخول الرجال على غير المحارم
فقال:

(إياكم والدخول على النساء)^(٢) .

فكم من مجالس ضمت رجالاً ونساءً من غير المحارم، أورثت عواقب خطيرة من
العلاقات والصلات المشبوهة، بدأت بتجاذب أطراف الحديث على استحياء ثم تخللتها
التعليقات المطّعمة بالمزاح ، فإذا بها تتطور إلي إعجاب ثم انجذاب فاخُتِلست بعد ذلك
من وراء الأظهر النظرات، وتُبدلت الإشارات والعبارات فكانت بعد ذلك العلاقات
التي لم يعرف الكثير عن بداياتها ومقدماتها شيئاً.

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ سورة لقمان
(٢) أخرجه البخاري (٢٩٠/٩) في النكاح ومسلم (٢١٧٢) في السلام

وصور الاختلاط كثيرة ومتنوعة .. منها:

- مجالس الأقارب العامة.
- انفراد السائق بالمرأة أو بالبنات في السيارة أو بالبيت.
- كثره الصلة بالخدم أو السائقين اعتماداً عليهم في أعمال المنزل ومتطلباته .
- التردد علي (الخياطين) وتبادل الأحاديث المطولة معهم عن التفصيل وطريقة الخياطة وعن الأسعار.
- انفراد الرجل أو احد أفراد الأسرة بالخدمة في البيت أو في السيارة . . . (حتى أصبحت الخادمة في بعض البيوت تدخل غرف النوم بغرض تنظيفها ، في حين يكون صاحب المنزل نائماً !!
- ويخلوا الأبناء من الذكور بالخدمة ولا تسأل حينها عن الحوادث والإحداث المؤلمة.

وإليك هذه الحادثة :

(حدث أن جاء أحد الطلاب في مرحله الثانوية إلي مُدرسه الذي يثق به وهو خائف مضطرب ، فلما استوضح منه الأمر ، أخبره الطالب بأمر هو في غاية الخطورة ، قال له : خرج أهلي ذات يوم وتركوني نائماً في البيت بمفردي فلما استيقظت ذهبت إلي المطبخ لأجهز لي شيئاً من الطعام ، يقول : وبينما أنا واقف في المطبخ فإذا بيدين تمتدان من خلفي وتغطيان عيناى بخفة فلما التفت فزعاً فإذا بها الخادمة تقف من خلفي تريد أن تداعبني بهذه الحركة وقد لبست وتزينت بزينة و . . . ! !) واكتفي بهذا القدر من الحادثة الأليمة .

- مقاعد الدراسة والتدريس وما أدراك ما فيها من خطرٍ وشرٍ وبيل .
- أماكن العمل كالمستشفيات ونحوها .

- ومن أماكن الاختلاط ما يتساهل به البعض من التردد على المنتزهات ، والخلاء (في البر) والحدائق العامة والشواطئ التي لا يُراعى فيها القيم من المكان المناسب والبعد عن أعين الأجانب وأنظارهم.
- الأسواق وما فيها من طرق أسيفة يتعامل بها البائع مع النساء والنساء مع البائعين أورثت صوراً مريرة من تدنيس الأخلاق والسمعة والشرف.
- ومن الصور التي يُحذر منها ، والتي لا تخلو من الخطر ، وينبغي أن يؤخذ لها الحيطة والحذر ، ألا وهو: التوسع في الحديث مع النساء ، سواء كان ذلك الحديث مباشراً أو من وراء حجاب ، أو غير مباشر عبر الهاتف أو عبر أي وسيلة اتصال أخرى ، فأن التوسع في الحديث ، والإكثار منه لضرورة أو لغير ضرورة ينتج عنه لدى البعض أحياناً ، وعند البعض الآخر – ينتج عنه في الغالب علاقات ، وتطور في الاتصالات تُخرجها عن الغرض الأساسي الذي بدأت به . . . وقد علق الله سبحانه الخطورة على هذا اللون من الحديث بين الرجل والمرأة فقال تعالى محذراً من ذلك :

{ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا }^(١)

قيل للإمام أحمد رحمه الله أيشمت الرجل المرأة إذا عطست ؟

قال : لا !!

فمهما قيل وعلق على هذا الأمر من أنهما موضع ثقة، ومنبع فضيلة ، وموطن لإحسان الظن ، والبراءة الأصلية ، وحسن التربية، وغير ذلك إلا أنه يبقى ما لا ينبغي نسيانه وهو :

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٢

أهميه أخذ الحيطة والحذر في هذا الأمر الحساس ، وعدم مصادمة الفطرة ، بما جعله الله تعالى من غريزة لدى الجنسين لا تنكر ولا تتجاهل .. الواقع يدل عليها ، والحوادث الأليمة تشير لها وتحذر منها وكثرة الفتن وانتشار الفساد تقتضي أخذ أشد ألوان الحذر.

(علما بأن صوت المرأة ليس بعورة ، فلها تسأل وتطالب بحقها ، ولها أن تشهد ولها أن تستفتي ولكن أن لا تخضع بالقول ولا تلين العبارة.

٦- السفر إلى الخارج :

وما أدراك ما السفر إلى الخارج، اذا كان للتنزه والترفيه فكم كانت مثل هذه السفريات سبباً مدمراً للعفة، ومعبراً خطيراً على فضائل الأخلاق وحمى الأعراض .. فبالسفر المذكور تجتمع ألوان المخاطر ، ودواعي الفساد ، وأساليب هدم الفضيلة :

من المشاهدات المحرمة ، والسماع المحذور ، والاختلاط بلا ضوابط .. لا تُراعى فيه الحُرُمات ، ولا يخشى فيه من المحذور ،

فان ذلك من الخطورة بـمكان ما يجعل صاحبه **يألف ذلك بمرور الوقت** ، أضف إلى ذلك **ما تدعوه الغربة في ذلك السفر** من عدم مراعاة من يستحي منه المرء عادة لكونه غريباً ..

كما في ذلك السفر من العادات والأخلاق وطبيعة الديانة ما تدعوا إلى كثير من أنواع التحليل للمحرمات والشبهات ، والسقوط في مهاوي الرذيلة ،

فلا يستنكر في تلك المجتمعات على سبيل المثال العري ، ولا يستغرب لديهم ما يتبادلونه من تصرفات شاذة بين النساء والرجال ولو كان في الطرقات والأماكن العامة (من قبلات وضم و...) ما يدعوا إلى تحريك الشهوة وتهيج

الغريزة ، كما لا يخفي ما فيها من أماكن للفساد تمارس ويتعاطى فيها ألوان المحرمات علناً من دون أدنى محذور أو خفاء أو ستر . .

أفلا يكون السفر إلى الخارج بغرض الترفيه والنزهة بعد هذا الغيظ من الفيض سبباً كبيراً في تدمير العفة أوفقدتها ، فأياك إياه ، فإن أقل ما فيه أن يعتاد المسافر ما يراه من تلك المظاهر والمناظر فلا ينكرها في قلبه من كثرتها وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان .

٧- تأخر الزواج:

فكم في الزواج من تحصين و غرض للبصر ، وإطفاء لنار الشهوة التي هي غريزة فطرية ملحة في الإنسان ، ذكراً كان أم أنثى ، فإن لم يشبعها في الحلال ، ولم يكن له وازع إيماني يردعه وحياء يمنعه، اشبعها في الحرام . فالزواج هو الحصن الواقي لسياج العفة ، والطريق الموصل إلى حياة العفاف ، ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ، أمر الشباب المتمكن من الزواج .. القادر عليه أن يبادر إلى دخول ذلك الحصن، وأن يضع قدمه على ذلك الطريق حينما قال عليه الصلاة والسلام :

((يا معاشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج)) (١) وإذا عُلِمَ هذا فإنه يُعرف مقدار ما يقع فيه بعض الأولياء من الإثم حينما يقفون عقبه في طريق زواج أبنائهم أو بناتهم الذي يعرضهم بذلك إلى ألوان من الفتن ويوقعهم في كثير من المحاذير.

(١) أخرجه البخاري (١٠٦/٤) في الصوم وفي النكاح ، ومسلم رقم (١٤٠٠) في النكاح

فمعلوم أن الإنسان إذا تعرض إلي بعض الفتن وما أكثرها في حياتنا المعاصرة . . . تحركت في نفس تلك الغريزة المودعة . . . ولذا تأمل ماذا قال صل الله عليه وسلم للمتزوج أن يفعل إذا وجد في نفسه هذا الأمر .

قال عليه الصلاة والسلام: ((أن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان ، فإذا رأى أحدكم فأعجبته فليأت أهله فأن ذلك يرد في نفسه))^(١)

وفي رواية أخرى : ((فأن معها مثل الذي معها))^(٢) ليدفع ما وجدته في نفسه بما أباحه الله له ، وهكذا تحصل الحصانة ويكون العفاف.

السبيل إلى العفة:

كل ما تقدم من أسباب الانحراف ، من اتقاها واجتنبها فانه يسير في طريق العفة ويسلك سبيل العفاف.

وأما الخطوة الثانية لسلوك ذلك السبيل فهو العمل بصد ذلك من أسباب الانحراف وهي كالتالي:

١. **تقوية الوازع الديني الإيماني :** وذلك بالإكثار من العبادات وتنويعها والمحافظة عليها ، فان الوازع الإيماني الذي هو ثمرة هذه المحافظة على العبادات وتنويعها كفيل برده الإنسان عن كل سوء، وحافظ له بإذن الله من كل فتنة

وإليك هذه القصة : في أثر الإيمان على عفة المسلم واستغفاه عن كل لون من ألوان الرذيلة ، ولو اقتحمت تلك الرذائل أبوابه وتسلفت أسواره:

(١) أخرجه مسلم (١٣٠-١٢٩/٦) وأبو داود (٢١٥١) والبيهقي (٩٠-٧) وأحمد (٣٩٠/٣)
(٢) أخرجه الدارمي

قال الراوي كنت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم جالسا عند صاحب لي من الباعة في السوق فمر بنا شيخ حسن الوجه ، حسن الثياب ، فجلس إلي صاحبي فعرفت من حديثه أنه مصاب بوفاة ابن له بار فقال له صاحبي : سل الله أن يعظم أجرك يا أبا محمد ويربط علي قلبك بالصبر.

فقال الشيخ مجيبا:

وكان يميني في الوغي ومساعدتي فأصبحت قد خانت يميني ذراعها
وأصبحت حرانا من الثكل حائراً أخا كلف ضاقت علي رباؤها

قلت للبائع صاحبي : من هذا الشيخ ، فقال : رجل منا من الأنصار
فقلت : وما قصته ؟

قال : أصيب بابنه ، كأن باراً ، قد كفاه جميع ما يعنيه ، وميته أعجب ميتة !!
فقلت : وما كان سبب ميته .

قال: أحبته امرأة ذات بعل ، فأرسلت إليه تشكو إليه حبها ، وتسأله الزياره وتدعوه إلي
الفاحشة .

فأرسل إليها يقول:

أن الحرام سبيل لست اسلكه ولا آمر به ما عشت في الناس
فابغي العتاب فاني غير متبع ما تشتهين فكوني منه في ياس
أنى سأحفظ فيكم من يصونكم فلا تكوني أخا جهلٍ ووسواسٍ

فلما قرأت الكتاب كتبت إليه:

دع عنك هذا الذي تذكره وصر إلي حاجتي يا أية القاسي
دع التنسك أنى غير ناسكة وليس يدخل ما أبديت في رأسي

قال: فأفشي ذلك إلي صديق له.

فقال له: لو بعثت إليها بعض أهلك ، فوعظتها وزجرتها ، رجوتُ أن تكف عنك.

فقال الشاب : والله لا فعلت ولا صرتُ في الدنيا حديثاً وللعار في الدنيا خيرٌ من النار في الآخرة وقال:

العار في مده الدنيا وقتلها	يفني ويبقي الذي في العار يؤذيني
والنار لا تنقضي ما دام بي رمق	ولست ذا ميتة منها فتفني
لكن سأصبر صبر الحر مُحْتَسِباً	لعل ربي من الفردوس يدني

فقال : وأمسك عنها ، فأرسلت إليه: إما أن تزورني ، وإما أن أزورك.

فأرسل إليها: أربعي أيتها المرأة علي نفسك ودعي عنك هذا الأمر !

فلما يُست منه ذهبته إلي امرأة كانت تعمل السحر ، فجعلت لها الرغائب في تهيجه إليها، فعملت لها فيه ، فبينما هو ذات ليلة جالساً مع أبيه ، إذ خطر ذكرها بقلبه، وهاج منه أمر لم يكن يعرفه، واختلط، فقام من بيدي أبيه مسرعاً وصلي واستعاذ وجعل يبكي ، و الأمر يزيد فقال له أبوه : يا بني ما الأمر ، وما الذي بك؟

قال: يا أبت أدركني بقيد ، فما أري إلا قد غُلِبْتُ علي عقلي فجعل ابوه يبكي.

ويقول يا بني حدثني بالقصة ، فحدثه قصته.

فقام إليه فقيده وأدخله بيتاً، فجعل يتضرب ويخور كما يخور الثور، ثم هدا ساعة فإذا هو قد مات والدم يسيل من منخريه . . . الله أكبر.

أين هذا ممن يسعون إلي الفاحشة بأرجلهم ويبذلون لها الغالي والرخيص والشرف والسمعة من غير أدنى دافع.

أخي الشاب : حينما تغلق عليك بابك ولا يراك أحد وتتحرك في نفسك كوامن الشهوة فتبحث لها عن متنفس غير شرعي ، تذكر أن الله عز وجل في تلك الساعة يراك ويعلم ما في نفسك وما تخفي يداك.

والنفس داعية إلى العصيان

وإذا خلوت بريبه في ظلمه

أن الذي خلق الظلام يراني

فاستحي من نظر الإله وقل لها

٢- تهيئه الأجواء المنزلية التي تعين على الطاعة:

من محافظة الأسرة علي الصلوات في أوقاتها نساءً ، ورجالا مع الجماعة ، ومن المحافظة على أورد القرآن والحث على الالتحاق بحلقاته في المساجد ودور التحفيظ للنساء والبنات ، ومن المحافظة على اللباس المحتشم للنساء، ومن تجنب الاختلاط واجتناب التقليد الأعمى لأهل الفسق والفجور.

ومن عدم إدخال البيوت ما هو مفسد أو سبيل إلى الفساد بكافة ألوان اللهو المحرم ووسائله فإن تهيئة الأجواء المنزلية ومتابعتها سبب كبير في حفظ العفة في حياة الشباب.

٣- الصحبة الصالحة:

التي لا تذكرك بالمعصية إذا كنت بعيداً عنها ولا تكون سببا تعينك على ارتكابها اذا كنت قريبا .. الصحبة التي تقوي لديك الوازع الإيماني بالتعاون معها على البر والتقوى ، تذكرك إذا نسيت أو غفلت ، وتعينك على فعل كل خير وطاعة ،

فكم نري ونسمع ونعايش في مجتمعنا شباباً صالحين وهم في سن المراهقة (تلكم السن الخطرة عند الكثيرين) يعيشون طهراً على الوری، ما سمعنا قط ما يقدر في سمعتهم أو يسئ إلى ذكرهم أو أن يأتي منهم سوء من قريب أو بعيد . . حتى لكانهم لا يعيشون

أخطر مرحلة في عرف الناس ، والتي يعاني من صوابتها الكثير وصدق المصطفى صلي الله عليه وسلم حين قال عن السبعة الذين يظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم: ((. . . وشاب نشأ في طاعة الله)) . فأن من نشأ علي طاعة عصمه الله من كثير من الفتن.

ولم يُسلم إلى الخَصم العرين
وقد ملئوا نواديهم مجونا
ولكن العلا صيغت لحونا
ولا عرفوا التخنت في بنين
ولا عرفوا سوى الإسلام دينا
من الإشفاق إلا ساجدين

شباب لم تحطمهم ليالي
ولم تشهدهم الأقداح يوماً
وما عرفوا الأغاني مائعات
وما عرفوا الخلاعة في بنات
شباب ذللوا سبل المعالي
فأن جنّ الظلام فلا تراهم

٤- البيئة الصالحة :

وهي سبب كبير يعين علي العفة ويحفظ من الفتنة ، ففي الحديث الذي أخبر فيه الرسول صلي الله عليه وسلم عن الرجل الذي قتل ٩٩ نفساً وأراد التوبة .
قال له العالم: غير أرضك (أرض المعصية) واذهب إلي أرض كذا وكذا فأن فيها أناس يعبدون الله فاعبد الله معهم.

فلا شك أن الذي يعيش في بيئة موبوءة يناله أذاها فمن أراد السلامة لدينه وعرض فليحرص على العيش في الأجواء النقية من شوائب الدنس والنجس.

٥- الابتعاد عن الأجواء المحركة للشهوات والداعية لها :

من رؤية النساء أو الاختلاط بهنَّ سواء كان نظراً أو محادثة أو معاكسة وكذا المطالعة في الصور من قنوات ووسائل اتصال ، وما سوي ذلك من التردد على الأسواق والحدائق العامة وعامة التجمعات المختلطة فمن أبتعد عن ذلك أمن كثيراً من ألوان الفتن وسدَّ باباً عظيماً من أسباب الانحراف.

٦- طلب العلم:

فمن طلب العلم اشتغل به عن غيره وأشغته لذة طلبه عن كل صارف ، يكون همه الدرس والشيخ والكتاب أو الكتابة والبحث والسماع و . . .
فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام الطبري وغيرهم ماتوا رحمهم الله ولم يتزوجوا ومع ذلك فقد شغلوا عنه بالعلم والدعوة ، وإليك طرفاً من عجيب أخبارهم في ذلك.

رغب أحد السلف وكان شاباً- رغب أن يتزوج فذهب إلي سوق الجواني وأشترى جارية فأتى بها إلى بيته ، وكان لابد أن يستبرأها بحيضة، فقال لها : اصعدي إلي غرفة كانت لديه في البيت حتي نستبرؤك ، وظل هو في الأسفل في مسائله ، ولما كان يبحث في طلبه ، فإذا به صار يفكر فيها ، حتى أشغته عما هو فيه من البحث والطلب فحاول جاهداً أن يصرف التفكير عنها، فلم يستطع ، فما كان منه إلا أن دعاها فلما نزلت قال لها : لنذهب إلي السوق ثانية.

قالت : ولم ؟

قال : ما من عيب والله أعيبك به ، أو سوء فيك ، ولكنك أشغلتيني عن البحث في مسائلي والنظر فيها ، ولا أثر أحداً عليها ، أو أرغب به عنها ، فخرج بها إلى السوق وباعها، وكانت من أجمل النساء!! !

الله اكبر.

٧- الدعاء:

فها هو يوسف عليه السلام يلجئ إلى أمتع حصن وأقوى سلاح لمواجهة أعتى فتنة تعرض لها شاب ، ألا وهو الدعاء ، فإذا به يدعو ربه عليه السلام أن يصرف عنه تلك الفتنة – فتنه النساء فقال : { قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا

يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ } ^(١)

فاسمع معي إلى النتيجة :

{ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } ^(٢)

فالدعاء سلاح المؤمن الذي لا يخون في النوائب ولا يخطأ في أوقات الشدة والكره .

{ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ } ^(٣)

فهل جربت الدعاء أخي الشاب: فرفعت يوماً كفّ الضراعة إلى الله أن يحميك من الرذيلة ويصرف عنك سوء والفحشاء ويجنبك الزلل.

كان فتى من أهل المدينة يشهد الصلوات كلها مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان عمر يفتقده إذا غاب ، فعشقه امرأة ، فذكرت ذلك لبعض نسائها ، فقالت لها : أنا أحتال لك في إدخاله عليك، فقعدت له في الطريق فلما مر بها قالت له: أني امرأة كبيرة السن ولي شاة لا أستطيع أن أحلبها فلو دخلت فحلبتها لي ، وكانوا أحرص ما يكونوا علي الخير فدخل فلم ير شاة ، فقالت : اجلس

(١) سورة يوسف الآية ٣٣

(٢) سورة يوسف الآية ٣٤

(٣) سورة النمل الآية ٦٢

حتى أتيتك بها ، فإذا بالمرأة التي عشقته تطلع عليه تراوده عن نفسه ، فلما رأى ذلك عمد إلى محراب في البيت فقعده فيه ، وظلت هي تراوده وهو يتأبى عليها

ويقول لها : اتق الله أيتها المرأة ، فجعلت لا تكف عنه ولا تلتفت إلى قوله ، فلما أيست منه ، صاحت عليه في الدار وجمعت الناس ، فلما جاؤوا قالت : أن هذا الرجل دخل علي يريدني عن نفسي ! !

فوثبوا عليه وجعلوا يضربونه ، ثم أوثقوه ، فلما كان الغداة وصلى عمر بالناس ففده فبينما هو كذلك إذ جاؤوا به في وثاق ، فلما رآه عمر قال : اللهم لا تخلف ظني فيه ،

قال : مالكم ؟

قالوا : استغاثت امرأة بالليل فجننا فوجدنا هذا الغلام عندها فضربناه وأوثقناه فقال عمر رضي الله عنه : أصدقني.

فأخبره بالقصة على وجهها

فقال له عمر : أتعرف العجوز ؟

قال : نعم !

فأرسل عمر إلى نساء جيرانها وعجائزهن فجاء بهن ، فعرضهن فلم يعرفها فيهن ، حتي مرت العجوز فقال : هذه يا أمير المؤمنين ، فرفع عليها الدرة وقال : أصدقيني وإلا . . . فقصت عليه كما قصها الفتى

فقال عمر : ((الحمد لله الذي في أمة محمد)) (شبيه يوسف)).

٨- تذكر نعيم الجنة:

وما أعد الله فيها لعباده الصالحين من ذلك المتاع الذي يعجز عن وصفه الواصفون لو قورن بمتاع الدنيا بل لو قورن بقيمة ما في الدنيا من ذلك للأطهار الأبرار ، ذوي العفة في هذه الحياة الدنيا من الأخيار.

ففي الحديث : ((لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أشرقت لمأت الأرض ريح

ومسك ولأذهبت ضوء الشمس والقمر)) (١)

وفي حديث آخر ((لو اطلعت حورية من الجنة على أهل الأرض لأشرقت

الأرض بنورها ولنصيفها الذي على رأسها يساوي الدنيا وما فيها))

هل سمعت بجمالها ؟ عن غيرتها؟ عن دلالتها؟ عن خدرها؟

وهل سمعت بخمر الجنة ؟ فأنها لا غول فيها ولا صداد ولا هم عنها ينزفون

، وأنها حرام على من شربها في الدنيا. . .

نسأل الله أن يثبتنا إياك على طاعته ويجنبنا الزلل ويقينا كل سوء ومكروه

وكتبه

عبد الكريم الديوان

(١) أخرجه الترمذي رقم (١٦١١) في فضائل الجهاد وقال هذا حديث صحيح .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
بين يدي رسالة.....	٣
مباحث الكتاب	٤
العفة والاستعفاف تعريفه.....	٥
لماذا الشباب.....	١١
مظاهر الإنحراف والغفلة.....	١٦
أسباب الإنحراف والغفلة.....	٢٨
السبيل إلى العفة.....	٣٩